فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة "دورة شرح الأربعين النووية"

الحديث العشرون

لفضيلة الشيخ: هاني حلمي

رابـط الـمـادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-68360.htm

الحديث العشرون: الحياء من الإيمان

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البَدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت" صحيح البخاري، لن يستغرق معنا –إن شاء الله – خمس دقائق لأنه سهلٌ وذكرنا معانيه من قبل، الحديث العشرون حديث الحياء، الحديث رواه البخاري ويتحدث عن الحياء، ولِمَ الحياء خاصةً؟ اسمع هذه التقريرات تِبَاعًا:

التقرير الأول: إن الحياءَ من الحياة، فعلامة حياة القلب حياؤك

قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : "إن الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا" صححه الألباني، قُرِنا معًا فإذا وُجد الإيمان وُجد الحياء، وإذا ضعُفَ الإيمان ضَعُفَ الحياء، وإذا لم يُوجد إيمان لم يُوجد حياء، "إن الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا" والنبي –صلى الله عليه وسلم– لما قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة"، قال: "والحياء شعبة من الإيمان" صحيح مسلم

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إن لكل دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء" صححه الألباني

هذا أول تقرير لكي نفهم عِظَم شأن الحياء في الإسلام.

التقرير الثاني: معنى الحياء

الحياء يرادف معاني مثل: الخجل ونحوه من الأمور، الحياء أن يكون لديك قوة داخلية مانعة لك عن الفعل، قوة من داخلك تمنعك وتزجرك عن الفعل، عن أن تفعل كذا من الأمور.

قال العلماء الحياء على نوعين:

أولاً: حياءٌ فطري، في فطرة الإنسان مثلما قالوا: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– "أشد حياءً من العذراء في خدرها" صحيح البخاري، هذه فطرة أن الفتاة وهي في خدرها، والفتاة لا زالت بكرًا تكون حيية، لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إذنُها صِماتُها" صحيح البخاري، هل توافقين على الزواج من فلان؟ فتستحي وتضحك فقط، إنما في زماننا هذا الذي لا يعلم به إلا الله، لا لا أريد فلان.. لا لا وكذا وكذا! أمر طبيعي ولم يعد إذنها صماتها ولا شيء! ونذكر قول ربنا –تبارك وتعالى– في شأن المرأة ابنة العبد الصالح "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا" القصص:٢٥، فقالوا: "تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ"، أو تبدأ فتقول:

"فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ" القصص:٢٥، تعني أن مشيها كان بحياء، وكلامها كان بحياء، فترى عندما تحدثت قالت: "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا" ماذا كان بمقدورها أن تقول؟

ونلاحظ أن المشهد الآن شخص أمام شخص، قبل ذلك كان المرأتين وسيدنا موسى، كل منهما لا تستطيع الكلام بسبب وجود الأخرى، أما الآن شخص أمام شخص، فماذا فَعَلَت؟ استحيَت "عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا" كان بمقدورها أن تبدأ الحديث بالتعرف عليه، طبيعي مثل فتيات هذه الأيام، ما اسمك؟! ما أخبارُك؟! من أين أتيت؟! تبدو متعبًا جدًا ماذا حدث لك؟! ألن تحكي لي قصتك؟

وتبدأ التعرف عليه، إنما قالت له: "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا".

حتى أن القرآن لم يقل أنها ألقت عليه السلام، هي فقط آتية برسالة له "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا"، لم تقل له السلام عليكم، لقد فعلت لنا معروفًا كبيرًا وقد أخبرت أبي وقال لي.. ما هذا؟ فقط قالت "إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا" وما هو ردَّ القرآن الكريم؟ ماذا قال؟ هل قال أن سيدنا موسى وجد فرصة ليتحدث معها ويرد؟! القرآن قال أنه لم يتحدث مباشرةً؟! حكى أن سيدنا موسى انتقل دونَ كلام؟ دونَ رد وإجابة! انتقل إلى بيت الرجل مباشرةً، وفي الكتب قالوا أنها أرادت أن تمشي أمامه فقال: لا.. لا ينبغي ذلك، إذن كيف ستعرف الطريق؟ ارمِ حصاةً، ما هذا؟! لذلك قال "إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" القصص:٢٦

أين نجد هذا؟ أين حياء عائشة؟ لما دفنوا النبي –صلى الله عليه وسلم– في بيتها كانت تتخذ هذا البيت مأوى لها، لم تترك البيت، فدفنوا أبو بكر –رضي الله عنه–، زوجها وأبوها، فلما دفنوا عمر كانت لا تخلع ثيابها في بيتها!

ما هذا يا أخي؟! كانت تستحي من ميت! ماذا نقول إذن لهؤلاء الفتيات في شوارعنا؟! ما هذا؟! كانت تستحي من ميت! "إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت" صحيح البخاري.

إذن حياء فِطرى جِبِلِّي، فطر الله الإنسان عليه، وينبغي أن نتذكر هذا المعنى كما قلنا "مَن استحيا اختفى، ومَن اختفى اتقى، ومَن اتقى وقى" هذا كلام سيدنا عمر –رضي الله عنه–، لذا فالمستحي دائمًا تجده يبتعد عن مشهد الأحداث، يستحي، هذا حياء، "ومَن اختفى اتقى" يبتعد لكي لا يسقط، حتى لا تذل قدمه في فعلٍ به أخطاء، "ومَن اتقى وقى" أي وقى نفسه من الآفات، إذن "مَن استحيا اختفى، ومَن اختفى اتقى، ومَن اتقى وقى"، هذا هو الحياء الفطري.

ثانيًا: حياء مكتسب، كيف يُكْتَسَب؟ بأن تعرف الله، فالنبي يقول لنا –صلى الله عليه وسلم–: "استحيوا من الله حق الحياء" قالوا إنَّا نستحْي مِنَ اللهِ يا نبيَّ اللهِ! والحمدُ للهِ " –واللهِ نحن نفعل ما بوسعنا–، قال "ليس ذلك، ولكن مَن استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبِلَى" حسنه الألباني

إذن كلما ازددت معرفة بالله كلما زاد حياؤك منه، عرفت الرقيب وعرفت الشهيد، وعرفت البصير، والمعاني التي ذكرناها في أسماء الله وصفاته فيستحي الإنسان، أن تتذكر فتقول يا رب إنك أسبغت علينا نعمك ليلَ نهار وذنوبنا تصعد إليك ليلَ نهار فتستحي منه، هذا هو الحياء المكتسب.

التقرير الثالث: الحياء المذموم

هناك حياء مذموم اسمه العجز، ما هو؟ أنك مثلاً تستحي أن تسألني في مسألة تستحي من الحديث عنها مثل مسألة مثلاً في آداب قضاء الحاجة، في علاقتك الزوجية بزوجتك فتستحي أن تسأل فيها، هناك مَن يستحي ثم بعد ذلك يكتشف أنه لا يستطيع أن يتطهر، لأنه بعد أن شابَ شعره لن يأتي ويسأل عن كيفية الغسل مثلاً أو الوضوء وكيف سأقولها؟! وبعد ذلك تكتشف أنه خريج جامعة كذا ومُكلَّف منذ خمسة عشر عامًا ويصلِّي بطريقة خاطئة، ما هذا؟ يستحي أن يسأل، لذلك عائشة –رضي الله عنها– كانت تقول: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين وأن يتفقهن فيه" حسنه الألباني

لا أقول أن تصبحي جريئة جدًا وتقفي أمام الناس تتحدثين بكلام لا يليق.. لا لم أقل هذا، أرسلي رسالة، تحدثي بأسلوب مهذب، عندما تستحي أن تتحدث في موقف معين تنحَّى بالشيخ جانبًا واسأله، إذن الحياء في موضع عدم الحياء عجز، لا يسمى حياء، ماذا يسمى؟ عجز، لا تأتِ وتقل لي: استحييت أن أخبرك، ولِمَ استحييت؟ هنا لا ينبغي أن تستحي، هنا نسمع الكلمة التي يخطئ الناس بقولها: "لا حياء في الدين"، الصواب : لا حياء في السؤال عن أمور الدين، هذا هو الصواب، كلمة "لا حياء في الدين" تعني أن الدين ليس فيه حياء، لا.. لا حياء في السؤال عن أمور الدين، إذن الحياء في موضع عدم الحياء عجز.

حياء المرأة

طالما تحدثنا عن الحياء فلابد من كلمة صغيرة تخصّ المرأة، حياء المرأة، وموضوع الحجاب وموضوع الاختلاط وكل المشاكل التي يتحدث عنها الناس والله العظيم حلها في هذا الخُلُق "الحياء".

لو أنكِ تملكين حياءً حقيقيًا فلن تكوني سلعة يراها كل الرجال، سلعة! طبيعي فأنتِ تعرضين نفسك في الفاترينه، والشرع يقول أن هذا الرجل يأتي لبيتك ويطرق بابه ويستأذن ويدخل ليراكِ وأنتِ عزيزة مُكرَّمةٌ لكي لا تكوني متاعًا، سلعةً، وبعد هذا في الشرع يجب على هذا الرجل أن يعطيكِ مهرًا ويشتري لكِ ذهب "شبكة" ويؤسس لكِ بيتًا من الألف إلى الياء وعليه كل هذه التكاليف وأنتِ مكرمة وغالية، لماذا؟ لأنك دُرَّةٌ، جوهرةٌ، أين توضع اللؤلؤة؟ في صدفةٍ، والآن أين نحفظ الأشياء الثمينة الغالية؟ في خزينة، وهكذا الحجاب، العين وهي أجمل ما تكون، العين ومن جمالها أن يكون لها جفن ورموش لكي تحفظها، كل الدنيا تحتجب إلا عُصاة بني آدم.

ثاني شيء عن حياء المرأة، لا ترفعي صوتكِ، رفع الصوت! وترفع صوتها على زوجها، وترفع صوتها على أبيها، قلت لكم أن عائشة –رضي الله عنها– في حادثة الإفك النبي –صلى الله عليه وسلم– قال لها: لو كنتِ فعلتي هذا الذنب استغفري الله، قالت: "فنظرت إلى أبي: "أجب عني رسول الله" صحيح مسلم، أنا لا أستطيع أن أتحدث في وجودك، أدب وحياء! على أن النبي يتهمُها إذن الكلام صعب، إنما لم ترُد وتقول له أنا؟! أنا تتهمني أنا؟! أتفكر للحظة أني من الممكن أن أفعل كذا؟! هذا هو الطبيعي، لكن أين بنات المسلمين الآن من هذا؟! النساء الآن ترد الكلمة الواحدة على زوجها عشرة، أم ماذا؟ الدنيا قد تغيرت، لأن هذا ليس من حيائك، حياؤها يمنعها أن تتكلم

في وجود أبيها، يمنعها أن تتكلم في وجود أمها، الكبير لابد أن يُوَقَّر، حياء، أدب.

فحياؤك في كلامك، حياؤك في طريقة سَيْرِكِ، حياؤك في تعاملاتك، فبالتالي لماذا ننهاكم عن الاختلاط؟ لأنه ينافي حياءك، أتعلمون واللهِ من الأسئلة التي تُرسَل لي النساء اللواتي يخرجن كثيرًا أول شيء تقوله: فقدت حيائي، أول كلمة..

أنا أذكر لكم ما يقوله الناس ليس من كلامي، واللهِ في المكالمات تقول من كتر المهانة في المواصلات وهذا يلتصق بي، وهذا يرجلس بجانبي وأشياء صعبة جدًا، وأنا ملتزمة وأتعرض لإهانات صعبة جدًا، ثم أن كثرة المساس تُفقدُ الإحساس، وهذا إحساس جميل لو تزوجت زوجة تكون أنت رجُلُها الوحيد، حتى لو أنك لست رجلاً بمعنى الكلمة ولكن أنت بالنسبة لها رجُلُها، لا تعرف غيره، لا تستطيع أن تتكلم إلا مع زوجها، فتشعرك بسعادة الدنيا كلها، وفي المقابل أيضًا لو أنك أشعرتها أنها امرأتك، لكن الآن! هي تعرف فلان وفلان!

انظر أيضًا لخرافات وخزعبلات النساء، زوج أختها أخ ملتزم وهي دائمًا تقول لزوجها: لِمَ لا تصبح مثل فلان، ومثل فلان، طبعًا يستأسد به شيطانه: لن أصبح مثل فلان، لا أعجبكِ؟ أنا لستُ رجلاً؟ لِمَ لم تتزوجي من فلان طالما يُعجبُكِ؟ ما هذا! لأنها طوال الوقت تحتك بفلان وتسمع عن فلان وعن علان وتذهب لتحدث زوجها عن كذا، لا يجوز، هذا ليس من حيائك يا أُختاه، الحياء أنه لا يجوز أن تتحدثي عن رجل أجنبي على لسانك لزوجك، هكذا وبشكل مباشر! هذه المعاني غابت عنا، لذا ضاعت بيوتنا.. لماذا؟ لأنه لا يشعر بأنه رجل وهي لا تشعر بأنها امرأة، وضاعت هذه المعاني، أمتع شيء، لمن لم يتزوج ويريد الزواج ابحث عن هاتين الصفتين في مَن تُريد حيِيَّة ومنكسرة، مِطْوَاعة، حيية ومِطْوَاعة، أن يكون عندها حياء فتشعر برجولتك، ومطواعة طيعك في كل أمر وكلامها حَسَنٌ، فتشعر أنت بمعنى الرجولة، إنما طالما ليس عندها حياء ولا تطيعك فهذه مشكلة، الله المستعان، هذه نبذة عن حياء المرأة.

من ثمرات الحياء:

١ــ العِفَّة، فمن اتَّصف بالحياء حتى غلب على جميع أفعاله يكون عفيفًا.

٢ــ الوفاء، قالوا اثنتان لا تجتمعان أبدًا في بشر: الكذب والمروءة، لن تجد رجلاً كاذبًا وشهمًا، لن تجد، والمروءة لها ثمرات: الصدق والوفاء والحياء والعفة.

النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا قال: "إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت" إذن ما اسم مَن لا يستحي؟ وَقِح، قلت لكم الأسبوع الماضي –وموجودة على الإنترنت– قصة الشاب الذي أتى إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ائذن لي بالزنا" فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أتحبه لأمك؟ قال: لا" صححه الألباني

الآن المذيع يقول له: أترضاه لأختك؟ يقول له: نعم! ماذا؟! نعم! أنت هكذا لست رجلاً أصلاً، ما هذه المصيبة؟! نعم! قال: طالما أنا أعلم والمجتمع كله يعلم فلتفعل –فلِمَ لا تُزوِّجها؟– قال له: هل ترضى بكذا؟! وجحظت عيناه وهو يسأله فقال له: نعم ولِمَ لا؟ قال له: ولو حدث حملاً؟ قال له: نعم! واللهِ العظيم! في السنوات الماضية عندما كان يظهر شخص على التلفاز مثلاً ليعترف بشيء كهذا كان يخفون عينيه ويقف بظهره وهكذا.. أما الآن يظهر

بوجهه يقول: أنا جربت هذا الموضوع قبل الزواج مرتين! شخص ظهر أمام الناس ليقول لهم أنا أزني!
يقولون: هذا زنا! يقول: لا الزنا ليس هكذا، الزنا أن يكون دون أن يعلم الناس! لكني أزني ووالدها يعلم وأنا والدنيا كلها طبيعية –احنا سبور–! ما هذا؟! "إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت"، نعم هذا شيء طبيعي! ماذا تتوقع من مناخ ملوث بهذه الطريقة؟! فاسمها وقاحة.

حافظ على حياء رعيتك فستُسأل عنها أمام الله

ولذلك واجب ستُسأل عنه أمام الله أن تُحافظ على حياء أولادك وألا تعبث بفطرتهم، لما تُنْشِئ أولادك، الابن يأتي ليخبرني بأن والده يشاهد الأفلام وتظهر بها راقصة! واللهِ يقول لي هكذا بهذا اللفظ: هل أبي لم يمر بفترة ما قبل الزواج؟ فأنا أيضًا إنسان من لحمٍ ودمٍ، وأبي لا يشعر بنا ويجلس حتى تنتهي السهرة وعندما تبدأ قراءة القرآن يذهب لغرفته! وما نتيجة هذا؟ تتلوث فِطَرِهِم، أنت أيها الأب عندما تجلس وتشاهد الكليبات والفتاة تشاهد العاريات والكاسيات والابن أيضًا، أنت لوَّثت فِطَرِهِم وستُسأل أمام الله –عز وجلَّ– عن ذلك، أن تترك لهم تلفاز ليشاهدوا فيه هذه الكوارث، ثم تعترض؟ ثم أن زوجتك جالسة أيضًا تتعلم من هذا الكلام، من الفيلم والمسلسل التركي والعاطفة و..و..، وجالسة تتمنى هذا الرجل وأنت لا تفهم شيئًا من هذا كله وبعد هذا تشتكي بأن لديك مشكلات!
"إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت" صحيح البخاري

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هُنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36